﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾

[الأنعام: 103]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

استكمالُ أدلَّة الكمالِ لصاحب الجلالِ في استحقاقِه العبادة الحقَّة والخضوع التَّام

بعد أن ذكرَ في الآياتِ السَّابقةِ أوصافَه سبحانه في الأمورِ كلِّها، منَ الخلقِ والتَّقدير، وبعد أن نبَّهَ في الآية السَّابقةِ على استحقاقِهِ سبحانه للرُّبوبيَّة، وأمر عبادَه بعبادتهِ وحدَه؛ نفى في هذه الآيةِ إدراكَ الأبصارِ له سبحانه لبيانِ أنَّ سائرَ المعبوداتِ الَّتي يتوجَّهُ لها المشركون لا تصلُحُ لأن تُعبدَ؛ فإنَّها ممَّا تدركُه أبصارُهم، وما تدركه الأبصارُ لا يستحقُّ أن يكونَ معبودًا، فضلًا أن يكونَ خالقًا، فتكون الآيةُ من قبيل استكمالِ ذكرِ صفاتِ اللهِ تعالى الَّتي لا تكونُ لسواه، وهي الصِّفةُ الَّتي لا يُماري فيها أحدٌ منَ العالمين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُدۡرِكُهُ﴾: جذرُ الكلمةِ (درك)، والدَّرَكُ: إدراكُ الحاجَة والطِّلبة، واللَّحق منَ التَّبِعة، والدِّراك: إتباعُ الشَّيءِ بعضَه على بعضٍ في كلِّ شيءٍ، يطعنُه طعنًا دِراكًا مُتَدَارَكًا، أي: تِباعًا، واحدًا إثرَ واحدٍ، والدَّرَكُ: اسمٌ مِنَ الإدراكِ، يُقالُ: مشيتُ حتَّى أدركتُهُ، وعشْتُ حتَّى أدركْتُ زمانَه، ورجلٌ درَّاكٌ: كثيرُ الإدراكِ[1]، ومعنى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾، أي: لا تُحيطُ به أبصارُ المخلُوقِينَ[2].

2) ﴿ٱللَّطِيفُ﴾: جذرُ الكلمة (لطف): أصلُ اللُّطفِ في الكَلام: خَفَاءُ المسلكِ ودقَّةُ المَذهَبِ، ومعناهُ في حقِّ اللهِ: المحسن إلَى عبادِهِ

(1) الفراهيديّ، العين، وابن سيده، المحكم، والزّبيديّ، تاج العروس: (درك).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/413.

في خَفَاءٍ وَسترٍ من حَيثُ لا يعلمُونَ[1]، وسُمِّيَ باللَّطيفِ؛ لمعرفتهِ بدقائقِ الأمورِ، وأن يكونَ لرفقِهِ بالعبادِ في هدايتهم[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

علمُ الله محيطٌ بخلقِه، وقدرتُه بالغةٌ كلَّ شيءٍ

لا تُحيطُ باللهِ الأبصارُ، وإن كانَت تراهُ، وتفرحُ بالنَّظر إلى وجههِ الكريم، فنفيُ الإدراكِ لا ينفي الرُّؤيةَ، بل يثبتُها بالمفهوم، فإنَّه إذا نفى الإدراكَ، الَّذي هو أخصُّ أوصافِ الرُّؤيةِ؛ دلَّ على أنَّ الرُّؤيةَ ثابتةٌ، وهو الَّذي أحاطَ علمُهُ، بالظَّواهر والبواطنِ، وسمعُه بجميعِ الأصواتِ الظَّاهرةِ والخفيَّةِ، وبصرُه بجميعِ المبصَرَاتِ، صغارِها، وكبارِها، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الَّذي لطُفَ علمُه وخبرتُه، ودقَّ حتَّى أدركَ السَّرائرَ والخفايا والخبايا والبواطنَ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الجملةِ الابتدائيَّةِ في قولِه تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾:

بيانُ عظيمِ شَأنِ اللهِ، والتَّعريضُ بالمعبوداتِ المبْصَرةِ

قولُه تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ جملةٌ ابتدائيَّةٌ أفادَتْ بيانَ عظمتِه تعالى وسعةَ علمِه، فلعظمتِه جلَّ عن أن يُحيطَ به شيءٌ من أبصارِ المخلوقين، وذلك تعريضٌ بانتفاءِ الإلهيَّة عن الأصنام الَّتي هيَ أجسامٌ مَحدُودَةٌ مَحصورَةٌ مُتَحَيِّزَةٌ، أو أيِّ معبودٍ آخرَ، وأمَّا الجنُّ؛ فإنَّ العربَ تزعمُ رؤيتَها في الفيافي، كما قال تعالى قبلَها: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 100][4].

بلاغةُ النَّفي بـ﴿لَّا﴾ دُونَ أدواتِ النَّفي الأخرى:

النَّفيُ شاملٌ لأزمانِ كلِّها بالمفهومِ المطلَقِ

في قولِه تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ جاءَ النَّفيُ بحرف ﴿لَّا﴾ الَّذي يُفيدُ نفيَ الإدراكِ في الماضي والحالِ والمستقبلِ، دون (لن) الَّتي

(1) الزّجّاج، شرح أسماء الله الحسنى، ص: 44.
(2) الرّاغب، المفردات: (لطف).
(3) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 268.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/413.

تنفي الإدراكَ في المستقبلِ، أو (لم) الَّتي تنفي الإدراكَ في الماضي، فالنَّفيُ شاملٌ لجميعِ الأزمانِ، بمفهومِها المُطلقِ، لا بالمفهومِ النِّسبيِّ المتعلِّقِ بالمخاطَبين فحسب، كما سيأتي في دلالة جمع الأبصارِ.

سِرُّ استِعمالِ مُفرَدَةِ ﴿تُدۡرِكُهُ﴾:

الإدراكُ يكونُ لما يكونُ لحاقًا، ويُطلَقُ على ما يأتي في اللَّحظاتِ الأخيرةِ

آثرَ النَّظمُ استعمالَ مفردةِ الإدراك، دون الإحاطةِ الَّتي فُسِّرَ بها الإدراكُ، وذلك أنَّ الإدراكَ في اللُّغةِ يدلُّ على اللُّحوقِ الواصلِ للأمرِ المُدرَكِ، فإدراكُ الشَّيءِ عبارةٌ عنِ الوصولِ إلى غايتِه والإحاطةِ بِهِ[1]، فيُوحي اللَّفظُ بالوصولِ بعد مظنَّة الفواتِ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّارَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [النمل: 66]، أي: أدركَهم في الآخرةِ، لكنَّه إدراكٌ غيرُ مفيدٍ، وهنا تكمُنُ الحسرةُ.

فنفيُ الإدراكِ في الآيةِ يدلُّ على أنَّه لا يكونُ هناك إدراكٌ للأبصارِ لا ابتداءً، ولا لحاقًا، لا دنيا ولا أُخرى، إلَّا ما جاءَت فيه الكرامةُ للمؤمنين في الجنَّةِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالضَّميرِ في قولِه تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾:

النَّظمُ القرآنيُّ يُعلِّمُ العبادَ الأدبَ مع الله تعالى

جاءَ التَّعبيرُ في قولِه تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ بالضَّميرِ لا بالاسمِ الظَّاهرِ، فلم يقُل: (لا تُدركُ اللهَ الأبصارُ)، ومقتضى الظَّاهرِ والحالِ ما جاءَ عليه النَّظمُ الكريمُ، فيُسألُ عن نكتةِ ذلك؟ والجواب: أنَّ ما يقتضيه تعليمُ الأدبِ هو ما جاءَ عليه النَّظمُ، ومَن تأمَّلَ الأمرَ؛ علِمَ حقيقتَه، فإنَّ اللهَ لا يُدرَكُ حقيقةً ولا لفظًا.

دلالةُ استعمالِ مفردةِ ﴿تُدۡرِكُهُ﴾ مع ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾:

الأبصارُ يدخلُ في معناها المُبصراتُ والعلومُ

المرادُ بالأبصارِ هنا أوسعُ من مفهومِ البصرِ الَّذي يُطلَقُ على الجارحةِ الباصِرَةِ، وذلك أنَّ البصرَ هو طريقُ العلمِ والإحاطةِ بالمعلومِ بعدَ رُؤيتِه، فالمرادُ بالأبصارِ ما يُرَى بوساطةِ العينِ، وما

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 4/230.

بعدَ ذلك، وهذا يُفهَمُ منَ التَّركيبِ ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، فلو قال: (لا تراه الأبصارُ)؛ لفُهِمَ أنَّ المقصُودَ نفيُ الرُّؤيةِ فحسبُ، لكن لمَّا أدخلَ الإدراكَ؛ فُهِم أنَّ المرادَ بالأبصارِ الجارحةُ، وما يلزمُ عنها منَ العلوم المتحصِّلةِ بوساطة البصرِ، وعليه يُحملُ كلامُ الحبرِ حين قال: لا يحيطُ بصرُ أحدٍ بالملك[1].

دلالةُ الجمعِ ودخولُ (ال) في قولِه تعالى: ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾:

لـفـظُ الأبـصـارِ شـامـلٌ لـكـلِّ ما يصدُقُ عليه أنَّه مُبصِرٌ

أفادَت صيغةُ الجمعِ في لفظِ ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ ودخولِ (الـ) - فلم يقُل: (لا تُدركه أبصارُ النَّاسِ) - الشُّمولَ والعُمومَ، وذلك يتناولُ جميعَ الأبصارِ بواسطة اللَّام الجنسيَّة في مقامِ المبالَغَةِ في جميعِ الأوقَات[2]، فهي عديدةٌ مختلفةٌ، فمنها: أبصارُ النَّاس، وأبصارُ الجانِّ، وأبصارُ الملائكةِ، وكلُّ ما يصدُقُ أن يُوصفَ بأنَّه منَ الأبصارِ، مع اختلاف خَلقِها قوَّةً وضعفًا، قُربًا وبُعدًا، ويدخلُ في ذلك ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ التِّقنيَّةُ المعاصِرةُ، فلفظُ الأبصارِ مُستغرِقٌ لجميعِ أزمنةِ الدُّنيا والآخرةِ[3] إلَّا ما جاءَ فيه النَّصُّ بالاستثناءِ، وهذا من بديعِ النَّفي في القرآنِ الكريم.

الاستعارةُ المكنيَّةُ في قولِه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾:

تصويرُ الأبصارِ في سـعـيـهـا لإدراكِ شيءٍ لا تتمكَّن منه

يُطلَقُ الإدراكُ مجازًا على شعورِ الحاسَّة بالمحسوس، أو العقلِ بالمعقول، يُقال: أدرك بصري، وأدرك عقلي، تشبيهًا لآلةِ العلمِ بشخصٍ وصل إلى مطلوبه، وهو تشبيهُ المعقولِ بالمحسوس، ويُقال: أدركَ فلانٌ ببصرِه، وأدركَ بعقلِه، واصطلحَ المتأخِّرون على تسمية الشُّعورِ العقليِّ إدراكًا، ووصفوا صاحبَ الفهمِ المستقيمِ بـ (الدَّرَّاكة)[4]، فيكونُ استعمالُ الأبصارِ استعارةً

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/13.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/231.
(3) الزّركشّي، البرهان: 2/421.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/414.

مكنيَّةً تخييليَّةً، إذِ الأبصارُ لا تُدرِكُ، وإنَّما هو تشبيهٌ لها بشخصٍ يُدرِكُ المقصودَ، فحُذِف المشبَّهُ به، وذُكِر المشبَّهُ، وذُكِرَت لازمةٌ من لوازِمِه، وهي الإدراكُ.

توجيهُ المخصُوصِ بالذِّكرِ في قولِه: ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾:

الأبـصـارُ أكـثرُ الحواسِّ شمولًا وإحاطةً وخيالًا

لسائلٍ أن يسألَ عن سرِّ ذِكْرِ الأبصارِ دونَ غيرِها منَ الحواسِّ؟ والجواب: لبيانِ عظيم هذه الحاسَّةِ في الإدراكِ الشَّاملِ، فإنَّ سائرَ الحواسِّ إدراكُها لا يبلُغُ ما تبلُغُه هذه الحاسَّةُ منَ الإحاطةِ والشُّمول، وهي أبعدُ الحواسِّ بلُوغًا، وهي أكثرُ الحواسِّ تخيُّلًا وتوقُّعًا.

بلاغةُ المقابلةِ بَينَ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ وبين: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾:

إدراكُ الأبصارِ مقصورٌ على اللهِ تعالى دونَ أحدٍ منَ العالمين

أفادَتِ المقابلةُ بين قولِه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، وبين: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾، قصْرَ إدراكِ الأبصارِ عليه سبحانه فلمَّا كان إدراكُ الأبصارِ لذاتٍ أمارةَ نقصٍ وحدوثٍ؛ كان إدراكُ هذه الذَّات للأبصارِ أمارةَ كمالٍ وقِدَمٍ، ففُهِم منَ المقابلةِ قصرُ إدراكِ الأبصارِ عليه سبحانه دون سِواه، وهذا من بديع دلالاتِ المقابلةِ في القرآنِ الكريمِ.

فائدةُ المُشاكلةِ في قولِه: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾:

تقريبُ الصُّورةِ لأذهـانِ المُخاطَبين في تقابل الأضدادِ

معنى قولِه: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾، أي: يحيطُ بها علمُه؛ إذ لا تَخفى عليهِ خافيةٌ، ويكون إسنادُ الإدراكِ إلى اسمِ اللهِ مُشاكلةً لقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، وفائدتُهُ تقريبُ الصُّورةِ إلى أذهانِ المُخاطَبين للتَّمكين من إجراءِ المقابلةِ بينَ الضِّدَّين، فمهما تعاضدتِ الأبصارُ مع بعضِها، فإنَّها لن تحقِّقَ إدراكَه سبحانه وهو وحدَه يُدرِكُ الأبصارَ كلَّها؛ لأنَّه خالقُها ومبدعُها على غير مثالٍ سابقٍ، والإدراكُ هنا يختلفُ عنِ الإدراكِ في الجملةِ السَّابقةِ، فالإدراكُ هنا يُرادُ به الإحاطةُ الحقيقيَّةُ الَّتي تأتي قبلَ وقوعِ الأبصارِ.

بلاغةُ المجازِ بالحذفِ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾:

المحيطُ بالأبصارِ سبحانه محيطٌ بأهلِها

في قوله: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ مجازٌ بالحذفِ، أي: يُدرِكُ أهلَ الأبصارِ، وسمَّاه أبو حيَّان كنايةً، أي: كنَّى بالأبصارِ عنِ المُبصِرين[1]، أو مجازٌ مُرسَلٌ بإطلاقِ الجزءِ: وهو الأبصارُ، وإرادة الكلِّ: وهم أهلُ الأبصارِ، فالعلاقةُ جزئيَّةٌ.

النّكات البيانيَّة في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾:

اللهُ تعالى محيطٌ بالأبصارِ علمًا وقدرةً وهو قيُّومٌ على أصحابِها

قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ معطوفٌ على جُملَة: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، فإسنادُ الإدراكِ إلى ضَميرِ اسمِهِ تعالى إمَّا لأنَّ فعلَ يُدرِكُ استُعيرَ لِمعنَى يَنال، أي: لا تخرجُ عن تَصَرُّفِهِ، فالمعنى: يَقدِرُ على الأبصارِ، أي: على المُبصِرين، وإمَّا لاستِعَارَةِ فِعلِ (يُدرِكُ) لمعنى (يَعلَم)؛ لِمُشاكَلَةِ قولِهِ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، أي: لا تَعلَمُه الأبصَار، وذلك كِنَايةٌ عنِ العلمِ بالخَفِيَّات؛ لأنَّ الأبصارَ هي العدساتُ الدَّقيقَةُ الَّتي هي واسِطَةُ إحساسِ الرُّؤيَةِ، أو هِيَ نَفسُ الإحسَاسِ وهُو أخفَى، وجَمَعَهُ باعتبارِ المُدرِكين[2].

نكتةُ إظهارِ ما حقُّه الإضمارُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾:

الأبصارُ الأولى مُقتصِرةٌ على عالمِ الشَّهادةِ، أمَّا الثَّانيةُ؛ فتشملُ الغيبَ والشَّهادةَ

قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ دونَ أن يقولَ: (وهو يُدرِكُها)؛ لنكتةٍ بلاغيَّةٍ، وهي: بيانُ الاختلافِ بين الأبصارِ في الجملة الأولى والثَّانية، ففي الأُولى أرادَ بالأبصارِ ما يقعُ في تصوَّراتِ البشرِ، فكلُّ ما يخطرُ في أذهانِ البشر داخلٌ فيها؛ لأنَّ النَّفيَ يقتضي تصوُّرًا للمنفيِّ، أمَّا في الجملةِ الثَّانية؛ فأرادَ بالأبصارِ ما يقعُ في تصوُّراتِ البشرِ، وما لا يقعُ، فالأبصارُ الثَّانيةُ أشملُ وأوسعُ دلالةً، فيدخل فيها الأبصارُ في عالمِ الغيبِ والشَّهادةِ، أمَّا الأولى؛ فلا يدخُل فيها إلَّا الأبصارُ في عالمِ الشَّهادةِ.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/605.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/416.

أثرُ اشتقاقِ اسمِ الله ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ بين اسمِ الفاعلِ والصِّفةِ المُشبَّهةِ في التَّنوُّعِ البلاغيِّ:

اسمُ اللَّطيفِ إمَّا أن يكونَ صِفَةً مُشَبَّهَةً أَوِ اسمَ فاعِلٍ، وبناءً على ذلك يتعيَّنُ توجيهُ موقع هذا الاسم في الآيةِ من حيثُ المعنى البلاغيُّ المرتبطُ بالسِّياقِ؛ فإنَّ توجيهَ الألفاظِ مبنيٌّ على اختلافِ دقائقِ معاني ذواتِها، والاعتباران في هذا الاسم هما:

على الصفةِ المشبَّهةِ؛ فصفةٌ تنزيهٍ، وعلى اسمِ فاعلٍ؛ فصفةُ فعلٍ

الأوَّل: إن اعتُبِرَ اللَّطيفُ وَصفًا جَارِيًا على (لَطُفَ)؛ فهي صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ تَدُلُّ على صِفَةٍ تَنزيهِ تعالى عَن إحاطَةِ العُقولِ بماهِيَّتِه، فَيَكونُ اختيارُها هو مُنتَهَى الصَّراحَةِ والرَّشاقَةِ في الكلمَةِ؛ لأَنَّها أَقرَبُ مادَّةٍ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ؛ تُقَرِّبُ مَعنَى وَصفِهِ تعالى بِحَسَبِ ما وُضِعَت لَهُ اللُّغَةُ من مُتَعارَفِ النَّاسِ، وعليهِ فَتَكونُ أَعَمَّ من مَدلُولِ جُملَةِ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، فَتَتَنَزَّلُ مِنَ الجُملَةِ الَّتي قَبلَها مَنزِلَةَ التَّذييلِ، وهو الَّذي يَنبَغِي التَّفسيرُ بِهِ في كُلِّ مَوضِعٍ اقتَرَنَ فيهِ وَصفُ اللَّطيفِ بِوَصفِ الخَبيرِ، كالَّذي هُنا والَّذي في سُورَةِ المُلكِ.

على اعتبارِ أنَّ اللَّطيفَ صفةٌ مشبَّهةٌ؛ فإنَّه يقعُ موقعَ التَّذييلِ ممَّا قبلَها

الآخر: إن اعتُبِرَ اللَّطيفُ اسمَ فاعِلٍ من لَطَفَ؛ فهو من أَمثِلَةِ المُبالَغَةِ يَدُلُّ على وَصفِهِ تعالى بالرِّفقِ، والإحسانِ إلى مَخلوقاتِهِ، وإتقانِ صُنعِهِ في ذَلِكَ، وكَثرَةِ فِعلِهِ ذَلِكَ، فَيَدُلُّ على صِفَةٍ من صِفاتِ الأَفعالِ، وعلى هذا المَعنَى حَمَلَهُ سائِرُ المُفَسِّرينَ والمُبَيِّنينَ لِمَعنَى اسمِهِ اللَّطيفِ في عِدادِ الأسماءِ الحُسنَى، وهذا المَعنَى هو المُناسِبُ في كُلِّ مَوضِعٍ جاءَ فيهِ وَصفُهُ تعالى بِهِ مُفرَدًا مُعَدًّى باللَّامِ أو بالباءِ، نحو: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ [يوسف: 100]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: 19]. فَإِذَا حُمِلَ على هذا المَحمَلِ هُنا كانَ وَصفًا مُستَقِلًّا عَمَّا قَبلَهُ؛ لِزِيادَةِ تَقريرِ استِحقاقِهِ تعالى للإفرادِ بالعِبادَةِ دُونَ غَيرِهِ[1].

على اعتبارِ أنَّ اللَّطيفَ اسمُ فاعلٍ، فإنَّه يقعُ موقعَ الاستقلالِ ممَّا قبلَهُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/417.

نكتةُ اللَّفِّ والنَّشرِ في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾:

اللّطفُ خفاءٌ فلا تدركه الأبصارُ، والخبيرُ هو من يدرِك الأبصارَ

ذهَبَ ابنُ عاشور إلى توجيه معنى الخبير على مَحمَلَي الصِّفةِ المُشبَّهةِ واسمِ الفاعِلِ لاسمِ اللهِ اللَّطيفِ، فَوُقوعُ الخَبيرِ بَعدَ اللَّطيفِ على مَحمَلِ الصِّفةِ المشبَّهةِ، هو وُقوعُ صِفَةٍ أُخرى أَعَمَّ مِن مَضمونِ: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾، فَيَكمُلُ التَّذييلُ بذلك، ويكونُ التَّذييلُ مُشتَمِلًا على مُحَسِّنِ النَّشرِ بَعدَ اللَّفِّ[1]؛ فإنَّ اللَّطيفَ يُناسِبُ كونَه تعالى غيرَ مُدرَكٍ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، والخبير يناسِبُ كونَه تعالى مُدرِكًا: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾[2].

بلاغةُ الاحتِراسِ بينَ الصِّفاتِ:

لطفُ الله تعالى بعبادِه إحسانٌ خفيٌّ ورفقٌ سخيٌّ

وعلى مَحمَلِ اسمِ الفاعِلِ فإنَّ مَوقِعَهُ مَوقِعُ الاحتِراسِ لِمَعنَى اللَّطيفِ، أَي: هُو الرَّفيقُ المُحسِنُ الخَبيرُ بِمَواقِعِ الرِّفقِ والإحسَانِ وبمستحقِّيه[3]، فهو يُحسِنُ إلى عبادِهِ سبحانه ويعلمُ مواطِنَ الإحسانِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/418.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/233.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/418.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»